المقاربة بالكفاءات
المفهوم والخلفية العلمية

أ . حـمود طـه *

تمـهيد

انتشر مفهوم الكفاءات قبل كل شيء في عـالم الـشغل والتكـوين المهـني ثـم تحول إلى مجال التعليم وسبب هذا الانتشار يعود إلى:

النتـائج المدرسـية بالنـسبة للمـتعلمين غـير كافيـة حيـث يعـاني المتعلمـون صعوبات في اكتساب المعرفة الـتي تمكـنهم وتجعلـهم قـادرين علـى توظيفهـا في حياتهم اليومية أو في تنمية المهارات العقلية انسجاما مع التطور المتسارع للمعارف ومع التحول الحاصل في عالم الشغل.

من هذا ظهرت الحاجة إلى إعـادة النظـر في التكييـف والتعلـيم إسـتنادا إلى مفهوم الكفاءة الذي يستند إلى تدريب المتعلمين وجعلهم متكيفين مع المحيط.

هذا إضافة إلى النقائص التي إعترت بيداغوجيا الأهداف ومن هذه النقائص:

1ـ تجزء الأهداف والتأكيد على تلك التي تتحقق على مدى قريب.

2ـ تفكك المعارف وإنقـسامها إلى أجـزاء، ثـم إن الإهتمـام بالكفـاءات كـان

* جـامعة محمد بوضياف المسيلة .

ضعيف.

3ـ من المعروف جدا أن بيداغوجيا الأهداف ترتكز إلى المدرسة السلوكية في علم النفس والتي تنظر على أن التعلم هو تعديل للسلوك، ويتحقق نتيجة للاستجابة لمثيرات خارجية.

من هذا المنطلق أصبح ضروري تجاوز هذه المدرسة السلوكية علما أن المقاربة بالكفاءات بدء أولا في التكوين المهني الذي ينظر إلى المعرفة من جانبها النفعي أي بمعنى ما يكتسبه المتعلم من معارف وقدرات ومهارات (كفاءات). في المدرسة ينبغي أن يكون هذا الإكتساب قابلا للتحويل والتوظيف من طرف المتعلم من أجل حل المشكلات التي تعترض حياته اليومية ومساعدته على الإندماج مهنيا واجتماعيا.

مفهوم الكفاءة

كيف ظهر مفهوم الكفاءة؟

إن بيداغوجيا الكفاءات جاءت كنتيجة حتمية لتطور طبيعي لبيداغوجيا الأهداف حيث كان الصراع بين المدرسة السلوكية التي تأسس على مبادئها التعليم بالأهداف وبين أنصار البنائية ذات النزعة العقلانية والتي وضع جذورها الأولى ديكارت في القرن السابع عشر.

والفرق بين النظريتين يقوم على أساس أن المدرسة السلوكية تنظر إلى التعلم على أنه آلية يكيفها نظام المثير والاستجابة على حين تعتبر البنائية التعلم نشاطا عقليا بحتا يحدث عن طريق السيرورة العقلية وليس نتيجة المثير والإستجابة.

إن التعلم في إطار هذه المدرسة يحدث نتيجة تفاعلات تقع بين الإشكالية والذات الإنسانية[1].

ترفض هذه المدرسة تزويد الطفل بمجموعة من المعارف الجاهزة التي يكيفها مبدأ المثير والإستجابة، إن التعلم وفق النظرية البنائية هو الذي يحدث نتيجة

(1) خير الدين هني، 47:2005 .

وضع المتعلمين أمام مشكلات حقيقية متدرجة في الصعوبات تنمي قدراتهم العقلية ضمن أنشطة تعالج أهدافا عقلية، وجدانية ومهارية تجعلهم في النهاية قادرين على توظيف تلك القدرات والطاقات بشكل فعال.

عوامل ومبررات ظهور وتتطور التدريس بالكفاءات:

على أنقاض المدرسة التقليدية التي إتسمت بنقل التراث من الماضي السحيق إلى الجيل الجديد على يد أمينة وهو المعلم، فيتقبل التلاميذ المعارف كما لو كانت معارف ثابتة تجعل الهوة واسعة بين هذه المعارف وقواعد السلوك، وبين قدرات التلميذ ورغباته على أنقاض هذه المدرسة قامت المدرسة التقدمية التي تهتم بالتعبير عن الذات الفردية ،وبالنشاط الحر بدلا من قواعد النظام الخارجي والتعلم عن طريق الخبرة.

تجد هذه المدرسة بذورها في الفكر الأنجلوسكسوني البرغماتي بقيادة « جون ديوي » الذي أسس مدارسا بشيكاغوا، ووفق لتوصيات « الجمعية الأمريكية للسيكولوجيا » المنعقدة سنة 1948 والتي نادت باعتماد التقويم التربوي وبتحليل الأهداف وإخضاعها للملاحظة والقياس، كانت هذه الأفكار ثورة على أسلوب الإلقاء أو المضامين التي ينظر إليها على أنها حقائق ثابتة لا تتغير وهذا هو جوهر التناقض الذي يضع المدرسة في تعارض تام مع حيات المتعلم في حاضره ومستقبله فكان الإهتمام بنواتج التعلم كسلوكات قابلة للملاحظة والقياس عبر تحليل الأهداف التربوية وربطها بشروط ومعايير معينة وذلك للتحقيق من صحة التعليم وأساليب التقويم، فوجدت هذه الطريقة صدى واسعا في الأوساط التربوية حيث ظهرت الصنافات على يد « بلوم » سنة 1956 وعلى يد « كراثول » سنة 1964 وغيرهم....

وقد راج التدريس بالأهداف في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات في الجزائر غير أن السعي الحثيث إلى تجاوز الطرح السلوكي وتطوير بيداغوجيا الأهداف أصبح أكثر إلحاحا وأدى إلى طرح بديل هو خلاصة التطور الذي شهدته المقاربة بالأهداف ولكن بمقاربة فقط بنواتج التعلم ولكن بسيرورة الفعل التربوي والعمليات الموافقة له في قالب يطمح إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية وبمقاربة بنائية تدعى « المقاربة بالكفاءات » وقد تم تبني هذا النمط في المدرسة الجزائرية لما أظهرته

الأبحاث والتجارب المتواصلة من فعالياتها في الأداء الميداني والمردود التربوي على مستوى المعلمين.

ما يزال هذا النموذج محل دراسات وأبحاث يقوم بها متخصصون أفراد وجماعات للخروج من الجمود التعليمي القائم على التلقين وإستظهار المعلومات وإسترجاعها، إلى تعلم ناتج عن الإستكشاف والبحث التعليل وصولا إلى حل المشكلات وإكتساب المهارات اللازمة للحياة.

يستنتج من هذا أن المقاربة بالكفاءات ظهرت لعدة مبررات منها:

ـ ظهرت المقاربة بالكفاءات كرد فعل للمناهج التعليمية المنقطة بالمعارف الغير ضرورية للحياة.

ـ تفعيل المحتويات والمواد التعليمية للمدرسة والنظر إليها من منظور علمي.

ـ السعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة.

ـ جعل المتعلم مصورا أساسيا لها والعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم عن طريق حسن الوجيه لإكتشاف أحكام المادة التعليمية.

ـ الطموح إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية.

ـ الإهتمام بسيرورة الفعل التعليمي والعمليات المرافقة للتعليم بدلا من الإعتناء بنواتج التعلم كسلوكيات قابلة للملاحظة والقياس.

ـ فسح المجال للمتعلم للتعبير عن ذاته في فضاء حر يخلوا من ضغوط الراشدين.

ـ ظهور الإتجاه السلوكي والأخذ به حيث يؤكد على ضرورة تحديد أفعال السلوكيات التي تساعد المتعلم على أداء مهماتهم وتحديد أكثر الأساليب والوسائل لإكتسابه هذه السلوكات قبل التعزيز والتغذية الراجعة بالاعتماد على التدريس المكثف المتوالي وحيث يتم البدء بتحديد المهارات المطلوب تحقيقها واكتسابها ثم تحليلها بطريقة منظمة إلى مكوناتها السلوكية الأقل تعقيدا ثم بدأ التدريب اللفظي عن طريق المعارف والمعلومات الخاصة بمكونات السلوك ثم التقدم بعد ذالك عن طريق الممارسة والخبرة في أداء هذه المهارات ثم تتبع ذلك التغذية الراجعة حتى

تتكامل مكونات السلوك شيئا فشيئا حتى تقترب من تحقيق إكتساب المهارات المطلوبة.

ـ ظهور التعليم المصغر كأسلوب فعال يقوم على مجرد المعرفة المحفوظة.

ـ ظهور فكرة التعلم بالأهداف مقياس تحقيق الأهداف من خلال أداء المتعلم أي أن كل متعلم قادر على الوصول إلى الأهداف المناسبة عندما يتوفر له التعليم المناسب الذي يشمل المعارف والمهارات والقيم ويكون التركيز في ذلك على إختيار الأهداف المناسبة وعلى تصميم مواقف للمتعلمين بإستخدامها يمكن إتقان هذه الكفاءات.

ـ ظهور فكرة عدم وجود طريقة تدريسية بعينها وإنما تتعدى وسائل التدريس وأساليبه وهذا يتطلب من البرامج التعليمية خليطا من الطرق النظرية والتطبيقية مما تعتمد عليه برامج الكفاءة.

ـ الأخذ بالتدريب والإعداد المستمر لرفع مستوى أداء الفرد وتزويده بما يحتاج من مهارات وكفايات في ضوء تطور دوره ومهامه مع الإتجاهات الحديثة في العالم.

ـ الإستناد إلى الحاجات المعينة للفرد المتعلم وإمكانية تحديد هذه الحاجات من خلال تحليل المهام والأساليب والأدوار المطلوب أداؤها بعد تخرجه.

مصادر اشتقاق الكفاءات:

حدد « دودل » أربع طرق لإشتقاق الكفاءات التي تتضمنها برامج التربية القائمة على الكفاءات:

ـ تحليل الأدوار.

ـ تحليل النموذج النظري بتغيير البرامج القائمة .

ـ تحديد الحاجات.

كما توجد أربع طرق أخرى لإشتقاق الكفاءات وهي:

ـ طريقة تخمين الكفاءات اللازمة وهي أقل الطرق صدقا.

ـ طريقة ملاحظة المعلم في القسم وهي أفضل من الأولى حيث ترتبط

كفاءات المعلم بنتائج التعليم لدى التلاميذ.

ـ الطريقة النظرية اشتقاق الكفاءات.

ـ الدراسة التحليلية.

ومن مصادر إشتقاق الكفاءات:

هناك بعض الأطر المرجعية لإشتقاق الكفايات التعليمية في برامج التربية منها:

أ ـــ منحى الإطار المرجعي النظري: يرى أصحاب هذا المنحى ومنهم(lorance; kay ; norman) أن إعتماد أساس نظري لإشتقاق الكفايات التعليمية يعني أن تكون الكفايات التعليمية التي يتم اعتمادها متفقة مع مرتكزات نظرية تربوية[1].

ب ـ منحى الإطار المرجعي التحليلي: وينقسم هذا المنحى إلى إطارين تحليليين هما:

◆ تحليل المهام التعليمية: يقوم هذا الأسلوب على تحليل المهام التعليمية للمعلم وترجمة هذه المهام إلى أهداف تفصيلية ثم يتم اعتبار كل هدف من هذه الأهداف كفاية تعليمية.

◆ تحليل مهارات التعليم: ويقوم هذا الأسلوب على تحديد المهارات المختلفة من النشاطات مثل الشرح وإجراء التجارب وإستخدام الوسائل التعليمية وإعتبار كل المهارة تعليمية يقوم بها المعلم وتصنيفها إلى كفاية معينة.

ج ـ منحى الإجماع: يقوم على تحديد مجموعة من الكفايات التي يعتقد أنها ضرورية للمعلم، يتم عرضها على مجموعة من المتخصصين والخبراء وبعد إتفاقهم عليها تعتبر أساسية للمعلم.

ترتكز حركة تربية المعلمين القائمة على نظرية تعليمية مشتقة من علم النفس السلوكي والمعروف أن نظرية التعلم المستمدة من علم النفس السلوكي

---

(1) مرعي، 1983: 51

ترتكز على إستخدام نماذج أو عينات من الكفايات المطلوبة من المتدربين التدرب عليها ليقوم المتدرب بتقليدها، والتي تستخدم الإشراط الإجرائي operant coditionisi» لسكنر (skinner) المقترن بالتغذية الراجعة المستمرة للسلوك أو الأداء الذي يؤديه المتعلم في الموقف[1].

كما ترتكز أيضا على الإستراتيجيات المستخدمة في تحليل النظم systame analysis» لتطوير أنظمة فعالة للعلاقة بين الإنسان والآلة، ويشير أصحاب المدرسة السلوكية لهذه المدرسة دور كبير في نشأة وتطور التربية القائمة على الكفاءات التعليمية لأن عملية تشكيل السلوك التي نادى بها سكنر تعتمد على مفهوم الراجعة (feed back) وعرض سلسلة من المثيرات المتتابعة لهذا فلقد إستفادت هذه الحركة من المدرسة السلوكية.

أهم مصادر إشتقاق الكفايات الشائعة:

1ــ تحليل المقررات وترجمتها إلى كفايات وهو من أكثر الأساليب إستخداما ويتم فيه إعادة تشكيل المقررات وتحويلها إلى عبارات تقوم على الكفاية، ويشير هول جونز[2] إلى أن ترجمة المحتوى تعني تحويل المقررو التدرج من الأهداف الخاصة مرورا بالكفايات[3].

2ـ تحديد الإحتياجات: ويتم ذلك من في ضوء طبيعة الميدان وما يراه المختصون القائمون على التخطيط من متطلبات إعداد الفرد الذي سيعمل في الميدان وتشتت الكفايات حسب هذه الطبيعة.

3ـ قوائم تصنيف الكفايات: يعتمد هدا المصدر على القوائم الجاهزة المتضمنة عدد كبير من الكفايات مما يفسح المجال أمام الاختيار بما يتفق واحتياجات البرنامج بالاعتماد على إستراتيجية واضحة ومحددة يتم وفقها اختيار الكفاءات التي تشتق من منطلقات البرنامج وأهدافه.

---

(1) محمد صبح الرشايدة، 2006 :41

(2) ص: 29

(3)جامل،2005 :26

4ـ المدخلات المهنية: حيث يتم الاستعانة في المهنة في عملية اشتقاق الكفايات وتحديدها وتنميتها في البرامج التدريبة من خلال استطلاع آراء المنتفعين من برامج الإعداد بواسطة المقابلة والاستبيان والدراسات الاستطلاعية[1].

إستراتيجية المقاربة بالكفاءات:

انطلق إصلاح المنظومة التربوية بهدف تحديث غايات التعليم من اجل تلبية حاجات الفرد والمجتمع وإلى تحقيق أهداف التكوين واستخدام أحسن الوسائل وانجح الطرائق، لذا تكون مقاربة الكفاءات إستراتيجية لتحقيق الهدف المنشود.

فالمقاربة بالكفاءات تعنى بترقية التعليم وتفصيل التعليم وتحديثه عبر تحديث مناهج التعليم وتعديل مسارات التكوين والجمع بين المعارف من جهة والقدرة على تحويلها وتجنيدها وإدماج التعليم كذلك الانتقال من منطق التعليم إلى منطق التكوين سعيا إلى تفعيل التعليم والتعلم وعملا على مد المجتمعات بنشئ قادر على مواجهة المواقف وحل المشكلات التي تعترضه بالاعتماد على النفس والاستقلال الذاتي.

و هذا النموذج التربوي والأكثر واقعية هو بين المعرفية والبنائية ولا يمنع باستخدام المقاربة السلوكية عند الحاجة فالسياق هو الذي يحدد المقاربة المقاسية. فلتنمية القدرات مثلا « القدرة على التحويل، حل المشكلات » يفضل استخدام المقاربة البنائية والمعرفية بينما المقاربة السلوكية يفضل استخدامها عند تنمية القدرة على التذكر.

خصائص المقاربة بالكفاءات:

ـ النظرة إلى الحياة من منظور عملي وذلك بربط التعليم بالحياة حيث أن من الأهداف التي يعنى إلى تحقيقها التوجه الجديد هو الرفع من مستوى جودة التدريس وفعاليته وإكساب المتعلمين كفاءات محددة تستجيب لمتطلبات عالم المهن ، فالتدريس بالكفاءات يهدف من خلال تركيزه على المتعلم إلى جعل العملية التعليمية التعلمية نشاطا يسهل عملية تكييف الفرد على المحيط الطبيعي

(1)جامل 2000 : 27

والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي المحلي منه والكوني.

ـ الاعتماد على مبدأ التكوين والتدريب أي الانتقال من منطق التعليم إلى منطق التدريب.

ـ السعي إلى تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية وعلى هذا الأساس فان العلاقة بين المداخيل البيداغوجية المختلفة هي علاقة تكامل وترابط.

مساهمة الكفاءات:

1ـ النمو الشامل للمتعلم.

2ـ تشجيع التقدم الفكري والتطور المعرفي فالمدرسة الحديثة تكشف عن إيديولوجية (تقدمية – بنيوية) تركز اهتمامها على الفرد والمجتمع معا.

فهذه الطريقة في التفكير تجعل التعليم يركز على النتائج التي يمكن للمتعلم اكتسابها والحصول عليها وبمعنى آخر أن الكفاءات تتناقص مع الغايات المرجوة من بيداغوجيا الأهداف سابقا.

مستويات الكفاءة:

أولا: المقاربة السابقة «التعليم بالأهداف» الغاية، المرمى، الأهداف العامة، الأهداف الخاصة، الأهداف الإجرائية.

ثانيا: المقاربة الجديدة «التعليم بالكفاءات» الغاية، المرمى، الكفاءة الختامية «الكفاءة النهائية» الهدف الختامي المندمج، الكفاءة القاعدية، الهدف التعلمي.

ثالثا الكفاءة الكمية:

عدد المتعلمين والناجحين وفق نظام تعليمي، ويرتبط هذا الجانب من الكفاءة حالات التسرب والإعادة.

رابعا الكفاءة النوعية:

القصد من هذه الكفاءة هو نوعية المتلم المتعلم، فالمقياس الوحيد المستخدم في النظم التعليمية بلا استثناء هو الامتحانات، أضف إلى وجود مؤشرات أخرى نستدل بها على النوعية منها البرامج، المناهج، الكتب، المعلمين، ولهذه المؤشرات معايير من اجل الحكم عليها ومعرفة عن مدى جودتها وكفاءتها.

خامسا الكفاءة الجماعية[1]:

توجد كفاءات وبالتالي معارف ومهارات لا احد بإمكانه إحرازها أو ابتكارها أو بناءها بمفرده. مثلا لا يمكن تعلم التفاوض إلا في جماعة حيث نجاح أو فشل المفاوضة يعني نجاح أو فشل الجميع.

هذه الكفاءة الجماعية تنشأ عن توحيد الكفاءات الفردية (تنظيم المعارف المتنوعة أو المعارف المستخدمة بطرق مختلفة).

إن إنشاء معرفة جماعية يتطلب:

- قدرات تقنية « تنشيط الإجتماعات واستعمال الإعلام آلي ».
- قدرات الإعداد الجماعي، تفاعل الأفراد من ناحية الشعور والقدرة على دراسة المشاكل.
- ضرورة إدارة ظواهر السلطة الداخلية والخارجية من طرف المسؤولية الجماعية من أجل إنشاء المعارف.

أنواع الكفاءات :

من الممكن اكتساب أنواعا الكفاءات من قبل التلميذ عند تخرجه من المدرسة القاعدية (الأساسية)

- كفاءات ذات طابع اتصالي أن يحرر مختلف الأنماط النصوص ويحللها.
- كفاءات ذات طابع منهجي أن يكون قادرا على استعمال أدوات الملاحظة والتوجيه والتسجيل والاتصال والقراءة والقياس ويكون قادرا على استعمال الحاسوب للبحث عن المعلومة.
- كفاءات ذات طابع فكري أن يكون قادرا على معرفة محيط الفيزيائي والبيولوجي والتكنولوجي والبشري وقادرا على الفهم ولانتقاد الموضوعي.
- كفاءات ذات طابع اجتماعي وشخصي أن يكون قادرا على العمل ضمن فريق لتحقيق مشروع جماعي (تعاون مساهمة) والعيش مع الآخرين والبقاء معهم.

---

(1)ج ـ بايرو J-Behllerot »

الغاية من الكفاءة:

هي إدماج التعلم

• **الفعـل:** يرتبط إدماج التعلم بالقدرة على الفعل والذي يمكن المتعلم من إدراك فائـدة هـذا الـتعلم، فالقـدرة علـى الفعـل تتجلـى مـن خـلال النتـائج والأداء، فالمقاربـة بالكفاءات تتم بوصف النتائج من خلال المعطيات الخاصة بالكفـاءات وعناصـرها. أمـا الأداء فيتم تحديده من خلال مقاييس الأداء والانجاز.

• **الفهـم:** مجموعة المعارف والمهارات الضرورية والتي تمكن المـتعلم مـن اكتساب الكفاءة وهو الجانب الخفي للكفاءة والأساسي والذي يمثل التعلم القاعدي الذي يسمح للمتعلم بفهم ما يقوم به.

فالكفاءات هـي أهـداف بعيـدة المـدى لمخطـط تعليمـي / تكـويني ويمكـن تحويلها إلى قدرات (capacité) أي أهداف قريبـة أو متوسـطة المـدى تقـترب مـن الأهداف الصنافية.

تعني الكفاءات نتائج التعلم وتـصلح لـصياغة المرامـي البعيـدة. مـن خلالهـا يمكن بناء مخطط تربوي في حين أن القدرات هي مرامي افتراضية علـى المـستوى البيداغوجي (Catigories Hépothitiques) فالكفاية هـي البطانـة الداخليـة للانجـاز (الأداء Performance)

تحدد الكفاءة في إطار فئة من الوضعيات ويمكن التعبير عن الانجاز بالمهمة أو النتيجة

فالانجاز يعني تسهيل أجرأة الكفاءة .

• **الإستقلالية:** الكفاءة لا يمكن إكتسابها دفعة واحدة بالإدماج. فـالمتعلم يحتـاج إلى تدعيم وتجريب قوته وقدرته (التقويم التكويني) ومـن ثـم يكتـسب إسـتقلاليته في حل كل المشاكل والمواقف التي تعترضه مع التقليل من التدخل.

المقاربات البيداغوجية والخلفية العلمية للكفاءات Approches Pédagogiques

1ـ السلوكية: يهتم السلوكيون بالسلوك القابل للملاحظة عند الأفراد دون النظر إلى السيرورات العقلية أو الذهنية الداخلية التي تدخل في عملية التعلم.

2ـ المعرفية: يختلف أصحاب هذه المقاربة عن السلوكيين حيث يركزون على السيرورات الداخلية للتعلم وينظرون إلى المتعلم على انه نظام نشط لمعالجة المعلومات فهو يأخذ هذه المعلومات من العالم الخارجي، يتعرف عليها، يخزنها في الذاكرة ثم يسترجعها عند الحاجة وذلك لفهم المحيط الخارجي الذي ينتمي إليه أو حل المشكلات التي تعترضه في حياته.

3ـ البنائية: تأكد هذه المقاربة على أن التعلم هو نشاط ذهني يقوم به المتعلم والاختلاف بينها وبين المقاربات السابقة يكمن في الأصول الفلسفية لظهورها حيث يؤكد أصحاب هذه النظرية على عدم وجود حقيقة خارجية موضوعية كما يراها المعرفيون والسلوكيون وإنما هي موجودة في ذهن المتعلم والتعلم هو نشاط لبناء هذه الحقيقة.

المتعلم لا يدمج أو يحول المعلومات التي تأتيه من المحيط الخارجي إلى الذاكرة بل يبني الخاص للعالم بالتفاعل معه انطلاقا من خبرته الذاتية.

فالمعرفة لا توجد كحقائق مطلقة ذاتية ولكن هي ناتجة عن الإجماع الحاصل في سياق اجتماعي تاريخي.

إن السياق الاجتماعي يلعب دورا حاسما في عملية التعلم والمقاربة بالكفاءات تعتمد بالدرجة الأولى على النظرية البنائية كخلفية علمية.